

المقدمة

الحمد لله الذي أوضح ببرهان تنزيله أصول الشرع المتين، وكشف عن منهاج سلوكه لأنظار الأئمة المجتهدين، فسرحوا بدقيق أنظارهم في رياضه المريجة وغاصوا في بحار معارفه لاقتناص درر الشريعة، والصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة الشرائع المتضمنة لكل المنافع، المرسل بالرفقة والرحمة، المؤيد بالثبات والعصمة، صلاة وسلاما نحوز بهما أعلى رتب النجاح ونخلص بها من دركات الآثام والجناح.

وبعد:

فإن الله تعالى قد بعث محمدا ﷺ بشريعته الغراء على حين فترة من الرسل، وقد طبقت الجاهلية الأرض وعم الفساد، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل؛ هدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة، وفتح برسالته أعينا عميا وآذانا صما، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى آتاه اليقين، فكانت شريعته رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين، ولا تزال منهلا فياضا وموردا عذبا زلالا، تتجدد الحاجة إليها يوما بعد يوم، يفىء الناس إليها ويحتمون بحماها لتقويم معوجهم، وتهذيب نفوسهم، وإصلاح شؤونهم، وتنظيم معاملاتهم.

وإن أئمة المذاهب الفقهية وأعلامها قد خدموا فقها الإسلامى تأصيلا وتفريعا في مجال التدوين والتصنيف أجل خدمة، وتركوا لنا ثروة عظيمة غزيرة متضمنة للأحكام الشرعية وأصولها وقواعدها، يهتدي بها المسلم في ميادين عباداته ومعاملاته.

وإني خلال فترة تحضير رسالة الماجستير والتي كانت بعنوان "القواعد والضوابط الفقهية المستخلصة من كتاب أصول الفتيا للإمام ابن حارث الخشني" اطلعت على كتب شتى في القواعد الفقهية، والفقه، والأصول وغيرها، ومن ذلك مؤلفات القرافي، وبخاصة كتابيه: الذخيرة والفروق، ولقد لاح لي وأنا أطلع هذه المؤلفات، ذلك المنهج الفريد وتلك النظرة

الكلية للفقه، وذلك الفكر الحرّ المستقلّ، مما يجعله شخصيّة متميّزة في الإدراك والتعليل والاستدلال، فأدركت أن هذا من جملة الأسباب التي جعلته من أقطاب المذهب المالكي وأئمّته الذين سطع نجمهم وذاع صيتهم واتسعت شهرتهم وعظم شأنهم حتى عدّ قمة شامخة، فأثرت أن أغوص في غمار هذا الموضوع، وأشبع رغبتني في التعرّف أكثر على المنهج الاستدلالي عند هذا الإمام، من خلال بحث أقدمه لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية بعنوان: "الإمام شهاب الدين القرافي، ومنهجه في الاستدلال الفقهي".

التعريف بالموضوع وأهميته:

يتمثل موضوع البحث في دراسة وتحليل موقف الإمام القرافي من الأدلة الشرعية التّقليّة منها والعقلية وطريقته في الاستدلال بها، ومنهجه في أهم القواعد الأصولية التي كان لها أثر في ترجيحاته أو اختياراته الفقهية.

ولا شك أن مثل هذه الدراسة تمكّن من الإطلاع على منهج الاجتهاد في عصر الإمام؛ خاصة وأنه تعلق بشخصيّة مرموقة معروفة بالتدقيق والتحقيق. كما تعدّ هذه الدراسة فرصة للإطلاع على أصول الفقه المالكي.

إن إبراز المنهج الاستدلالي هو الذي يجلي أيّ فكر فقهي لأي عالم من العلماء، ويبيّن في الوقت ذاته أن الفقهاء رحمهم الله لم يكونوا يخطون في دين الله خبط عشواء، بل كانوا يحكمون الخطى ويحدّدون المنهج ثم يتوجّهون إلى الهدف بخطى ثابتة وعقل واع، فيدركون الغاية من وجهها الصحيح الذي أدّى إليه اجتهادهم، مما يجعلنا نشيد بعبقريّة هذه العقول المبدعة التي عرفت كيف تضع المناهج لإدراك غاياتها.

إن استخلاص المنهج الاستدلالي للقرافي يفيد في فهم مناهج علماء آخرين، كما يساعد على اكتساب الملكة الفقهية القادرة على الاجتهاد والاستنباط وإيجاد أحكام النوازل والمستجدات.

أسباب اختياري للموضوع:

إضافة إلى ما ذكرت في أهمية هذا الموضوع، فإنّ هناك دوافع أخرى رغبتني في بحثه؛
أخصها في ما يأتي:

- كون الإمام القرافي من أبرز العلماء الكبار في المذهب المالكي، ومن المجتهدين فيه،
الجامعين لقواعده، المؤصّلين لأصوله، الموجهين لأحكامه.

- كون الإمام القرافي مالكي المذهب، وهذا المذهب معروف بأصوله الثرية المتعددة التي
تجعله متصلاً بالحياة اتصالاً وثيقاً، مما جعله مذهباً حياً يسد حاجات الأحياء، وليس مذهباً
جامداً يقف على ظواهر النصوص.

- الإمام القرافي مبتكر مجدد في الفقه المالكي في عصر عرف بالجمود وانتشار التقليد،
وجمع بين طريقتين للمدرسة المالكية: طريقة البغداديين، وطريقة الأندلسيين، وجمع بين ما
انفردت به كل جهة من فهم للمذهب، مع إضافة ما عنده، فكان لذلك منهج خاص به.

- الإمام القرافي صاحب عقلية متميّزة قادرة على معرفة العلل والحكم وإدراك مواطنها،
قادرة على التمييز بين المتشابه بفروق قد لا تتبادر إلى أذهان غيره، وهذا ما جنح به إلى التأليف
في فن الفروق في كتاب سماه "أنوار البروق في أنواء الفروق" والذي كان فريداً في نسقه
ومنهجه حتى وصف بأنه "لم يسبق إلى مثله ولا أتى أحد بعده بشبهه".

- القيمة العلمية الرفيعة لمؤلفات القرافي، فإن مادتها عميقة غزيرة ومصادرها أصيلة وفيرة،
حوت المنقولات النادرة، بعضها في غياهب النسيان لتعرض مظاهرها للفقدان، وبعضها الآخر
مخطوط حبيس الرفوف.

- مؤلفاته فيها جدة وحادثة تدل على شخصية متمتعة بذكاء خارق وعبقريّة فذة تشهد
لذلك تحريراته ومناقشاته وترجيحاته وتصحيحاته ونقوده، كل ذلك يدلّك على براعته
وشموخه.

- عناية القرافي بذكر الدليل بجانب فرعه، وهو بذلك ابتكر أو أعاد الاعتبار لما كان عليه
سلف الأمة قبل أن تنفصل الأصول عن الفروع، واستطاع بمنهجه الاستدلالي المعتمد على